الآيات الكونية والغيبيات في تفسير عبد الله الطيب

عصام التجاني محمد إبراهيم*

Abstract

The aim of this article is to provide a systematic account on Abdulla El-Ṭayeb El-Majdoub and his *tafsīr* methodology in dealing with Qur'anic verses pertaining to natural and cosmological phenomena as well as verses concerning eschatological matters. The article also discusses the most important drawbacks held against Abdulla El-Ṭayeb, which is the colloquial dialect that he used in his *tafsīr*. The article relied on analytic and inductive methods in heating the subject. One of these results was that his methodology of his *tafsīr* for the verses related to the cosmos depended primarily on dictum from the *Qur'ān* and *Sunnah*. Furthermore, he did not entertain the stories of the people of Israel (Israelite) in his *tafsīr* of the verses of death and the afterlife and the unseen.

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة شخصية الدكتور عبد الله الطيب المجذوب وبيان منهجه في تفسير الآيات الكونية والغيبيات. وقد تناول البحث أهم المآخذ على عبد الله الطيب كاستخدامه اللهجة العامية (الدارجة) في تفسيره. وقد اعتمد البحث على منهجي الاستقراء والتحليلي الاستنباطي للوصول إلى النتائج المرجوة. ومن نتائج البحث أن المنهج الذي سار عليه الدكتور عبد الله الطيب رحمه الله في عرضه للآيات الكونية في القرآن، أو ما يسمى بالتفسير العلمي، يتسم بعدم الإشارة إلى العلوم الكونية المختلفة، الفلكية منها والطبيعية، وفي الحالات النادرة التي يشير فيها إلى العلوم الكونية نجده يذكرها بإيجاز شديد ويتجنب الإسهاب والاطالة في استحضار تلك العلوم، فهو في

* طالب دكتوراه في قسم القرآن والسنة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. البريد الإلكتروني: esameltigani@yahoo.com

ذلك سلك مسلك العلماء الرافضين للتفسير العلمي. وأما طريقته في تفسيره لآيات الموت والآخرة والغيبيات، فخلاصة منهجه في ذلك أنه يفسرها بالقرآن والسنة واللغة، بعيداً عن الإسرائيليات والخيالات والأوهام.

مقدمة

إن نهضة الأمة المسلمة – أفرادًا وجماعات – لا يمكن أن تكون تقوم لها إلا بالاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة وقيمه الخالدة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للبشر، حيث وصفه الرسول ﷺ بأنه «فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم»[1]. وقد اعتنى المسلمون بالقرآن عناية كاملة، وأقبلوا عليه قراءةً وحفظاً وتدبرًا، وأقبل العلماء عليه يفسرونه ويحللون آياته، ويستنبطون أحكامه، ويستخرجون حقائقه. وقد تعددت مناهج التفسير ومدارسه واتجاهاته على مدار التاريخ الإسلامي، منذ عهد الصحابة الكرام وحتى العصر الحاضر، حيث كتبت العديد من التفاسير، واختلفت مناهج المفسرين في فهم القرآن وتفسيره، وقد تطورت هذه المناهج حسب حاجة كل عصر وكل جيل. ومن الذين أسهموا في هذا التطور المفسِّر واللغويّ والأديب والناقد والشاعر السوداني الدكتور عبدالله الطيب المجذوب رحمه الله، حيث أنه فسّر القرآن الكريم كاملاً في اثني عشر عاماً ما بين مطبوع ومسموع.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه دراسة في المناهج التفسيرية المعاصرة ذات الشأن، إبرازًا لجهود العلماء الذين أسهموا في مجال التفسير وربط هداية القرآن بهموم المجتمع وقضاياه في العصر الحديث. حيث مازالت المناهج تتطور وفق حاجة الناس في كل عصر ووفق البيئة التي ينشأ فيها المفسر. وعليه فإن دراستي للآيات الكونية

---

1 أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1998م)، كتاب فضائل القرآن"، باب "ما جاء في فضل القرآن"، ج5، ص29، رقم الحديث 2906.

والغيبيات في تفسير عبدالله الطيب تسهم في كشف النقاب عن أنماط التفسير واتجاهاته في العصر الحديث، مما يسهم بدوره في إغناء الدراسات القرآنية المعاصرة. وفضلاً عن ذلك فإني أحببت أن أقدّم هذا العالم وأُبرز تفسيره للمسلمين خدمة لله ولدينه.

التعريف بالدكتور عبدالله الطيب[1]

هو عبدالله بن الطيب بن عبدالله بن الطيب المجذوب، والمجذوب نسبةً إلى جدوده المجاذيب الذين اشتهروا بعمران المساجد وتلاوة القرآن والذكر، وكذلك بالقصيد واللغة، والعلوم وحب المصطفى ﷺ[2]. ولد عبدالله الطيب في 2 يونيه 1921م في قرية أم الطيور غرب الدّامر بالسودان. وأهل عبدالله الطيب كانوا من أنصار الإمام محمد أحمد المهدي، قاتلوا معه الإنجليز، واستشهد أكثرهم في تلك المعارك[3].

نشأ والده يتيماً، ودرس القرآن بمساجد آبائه وأجداده ببربر، وقرأ الشاطبية وحفظها، ثم عمل بمهنة التدريس في أوائل العشرينيات في عدة مدن منها كسلا، ومقرات، وأبي حمد، والدامر، وتوفي عام 1933م. ثمّ توفي لعبدالله الطيب بعد ذلك عدد من أقاربه الأقربين في زمن وجيز، الأمر الذي كان له عظيم الأثر في نفسه، فبعد عام من وفاة والده توفي أخوه حسن غرقاً في بئر بقرية أم الطيور، وقد بيَّن عبدالله الطيب مدى حزنه على فراق أخيه الذي كان يأمل في أن يقويه ويعززه وينصره، فشكا كل ذلك في قوله:

---

1 انظر: إمام، زكريا بشير، **عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر** (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعُمْلة، ط3، 2008م)، ص3–66، وهو أوسع من ترجم للدكتور عبدالله الطيب. وانظر ما حكاه عبدالله الطيب عن نفسه في كتابه: **من حقيبة الذكريات** (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ط2، 1994م)، وكتابه **من نافذة القطار** (الخرطوم: وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، ط2، 1968م)، حيث سرد كثيراً من الأحداث المهمة في حياته.

2 إمام، **عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر**، ص22.

3 المرجع السابق.

كـــدأب الليالي في أخ لك سابـــق تخطَّفـــه بـــالحين مـــختـــصرات
طـــوين الصبا عنه و لم يدر مالصبا و لم ينـــتفـــع باللهـــو بـــين لدات
و لم يخـــــض العيش الخضم عبابه ويقـــتحم الأمـــواج مـــصطخبات
ولـــو عاش قوَّاني وعـــزز ناصري وهـــاب اللـــئـــام الراضون أَذاتي[1]

نشأ عبدالله الطيب يتيم الوالدين، رقيق الحال، فقيراً، قليل العدة والعتاد، إلا أنه كان بارِزاً في الدراسة، حازماً في تحصيل المعرفة، وكان دوماً يحرز الرتبة الأولى على مستوى أقرانه في المراحل الدراسية بكافة. لقد كان فتىً موهوباً منذ البداية، حفِيظاً للقرآن الكريم وللعلوم وللشعر العربي الجاهلي والإسلامي. فذلك اليتيم الفقير المفرد الوحيد الحزين لم يكن يُلحَظ عليه أي مهانة أو مذلّة أو مسكنة؛ لما تميزت به نفسه من مصابرة ومجالدة، وإحساس قوي بالتميّز والتفرّد والعزّة منشؤها الاعتزاز بالأهل والعشيرة النبيلة ذات الحسب والنسب وذات التراث العلمي والديني العريق الذي هو عماد شهرة أسرة المجاذيب[2].

تعلّم عبدالله الطيب بمدارس كسلا والدّامر وبربر وكلية غُوْردُون (جامعة الخرطوم حالياً)، ثم ابتُعث بعد ذلك إلى بريطانيا حيث نال الدكتوراه من جامعة لندن سنة 1950م. عمل بعد ذلك في مجال التدريس، حيث درّس بمدرستي أم درمان الأهلية، وبخت الرّضا، وكليّة غُوْردُون. وتولّى عبدالله الطيب بعد ذلك منصب عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم ما بين (1961–1974م)، قبل أن يعيّنه رئيس الجمهورية الأسبق جعفر نميري مديراً للجامعة سنة 1974م (ومنصب مدير جامعة الخرطوم في السودان منصب وجيه لا يقلّ درجةً عن منصب وزير). ثم بعد ذلك عمل مديراً لجامعة جوبا التي كان مقرّها في الخرطوم قبل أن يسافر سنة 1977م إلى نيجيريا التي أُسس فيها جامعة بايرو. وبعد ذلك عمل في المغرب أستاذاً في كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن

---

[1] عبدالله الطيب الجذوب، **ديوان أصداء النيل** (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ط5، 1992م)، ص175 – 176.

[2] انظر: إمام، **عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر**، ص24.

عبد الله بفاس، ثم عاد إلى السودان واستقرّ فيه حيث عُيّن أستاذاً مدى الحياة (بروفسور أميرتس) وقد مُنح الدكتور عبدالله الطيب عدة جوائز، منها جائزة الزبير محمد صالح التقديرية، وهي أعلى الجوائز المالية والأدبية قيمة في السودان. وكذلك كُرّم أخيراً ونال جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية، وهي جائزة عالمية رفيعة[1].

وأصيب الدكتور عبدالله الطيب بسكتة دماغية عام 2000م، لم يستطع بعدها الكلام حتى آن رحيله في 19 يونيو (نفس شهر مولده) عام 2003م عن عمر ناهز اثنين وثمانين عاما. وكان من أعظم شخصيات السودان شعبية، وأوسعهم قبولاً لدى العامة من الناس، فقد دخل بتفسيره للقرآن الذي كتبه باللهجة الدارجة إلى قلوب الناس وإلى بيوتهم، فلا زالت النساء والشيوخ والشباب في القرى والمدن يتحلّقون ليسمعوا التفسير، وأحاديثه في السِّيَر.[2]

عقيدته ومذهبه

كان عبدالله الطيب شديد التأثر بأهله وشيوخه من المجاذيب، وبالجو الصوفي حوله، مندمجاً فيه أشد الاندماج، ويحفظ عدداً كبيراً جداً من أذكار الصوفية، ختمية وشاذلية وغيرها من الطرق. إلا أن صوفية عبدالله الطيب لم تكن في جوهرها صوفية روحانية بحتة، بل كانت أقرب إلى التصوف العقلاني السُني الذي يخلو من الشطحات التي أودت بحياة بعض رجال التصوف. بل إنه ذكر ومجَّد في أكثر من موضع عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث قال في مقدمة تفسيره للقرآن الكريم: "والله أسأل أن يجنبنا الزلل وأن يلزمنا مذهب السنة والجماعة، فهو السراج والمنهاج والله على كل شيء قدير"[3]. أما مذهبه الفقهي فقد كان رحمه الله مالكي المذهب، متعصّباً لمذهبه تعصب العوام[4].

---

1 http://www.islamonline.net/arabic/famous//01/2005article.03shtml, (.(2009/02/15

2 http://www.islamonline.net/arabic/famous//01/2005article.03shtml, (.(2009/02/16

3 المجذوب، عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم** (الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ط2، 1404هـ)، ص10.

4 وذلك واضح في مواقع كثيرة في تفسيره.

حبه للشعر والبداوة

كان عبدالله الطيب رحمه الله شديد الحب للشعر الجاهلي ونظمه الفريد. أما بداوته، فليست في معنى البداوة التقليدية من الخشونة وإيثار حياة البادية على حياة الحضارة والعلم. فقد عاش عبدالله الطيب الحياة الغربية وعرفها جيداً، ولم يعرف فقط مظاهر الحياة في المدن الغربية الكبرى، ولكن معرفته بالفكر الغربي وبالآداب والفنون الغربية وبالشعراء الغربيين أمثال شكسبير (Shakespeare)، وإليوت (T. S. Eliot)، وتوماس هاردي (Thomas Hardy)، ولورد بايرون (Lord Byron)، ووليم بليك (William Blake)، وغيرهم. ولقد بيَّن كيف كانت اقتباساتهم من الشعر العربي، وكيف تأثروا بالضعراء الجاهليين والإسلاميين أمثال أمرئ القيس، وذي الرمة، ولبيد بن ربيعة العامري[1].

تأثير زوجته الإنجليزية جيرزيلدا في شخصيته

لقد تزوّج بها في أربعينيات القرن العشرين، وهي سيدة إنجليزية تمور بالحيوية والنشاط. وظل عبدالله الطيب وفيًّا مخلصاً لها، فلم يتزوّج عليها على الرغم أنه لم يرزق منها الولد، وظل أهله يلحّون عليه بالزواج من أجل الذرية حتى ضم القبر أكفانه. والنقطة الأكثر جوهرية في هذا هي أن عبدالله الطيب تأثر بالجوانب المشرقة في أسلوب الحياة الإنجليزية مثل العقلانية الصارمة، والروح العلمية الموضوعية، وضبط النفس والصبر وتوخّي الصدق في المعاملات، والنشاط وحب العمل والاندماج فيه لساعات طويلة مع الصبر على الأعمال الفكرية والذهنية الصعبة، والاهتمام البالغ بالتفاصيل الدقيقة، والجلد والصبر في المواقف الصعبة، وحب المخاطرة والتغلب على الصعاب والتحديات، والخيال الواسع والقدرة الكبيرة على الإبداع والابتكار وحل المشكلات. كل هذه الصفات كانت في شخصية عبدالله الطيب، وقد أخذ معظمها من سنواته الطويلة التي قضاها مع الإنجليز. ولا بأس أن نذكر محاسنهم على الرغم من اختلافنا معهم، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا

---

[1] انظر: إمام، **عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر**، ص50.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(المائدة: 8).

مآخذ على عبدالله الطيب

عبدالله الطيب رجل مؤمن محب لله ورسوله، ولكن أخذ عليه البعض شكوكه وريبته حول حركة الصحوة الإسلامية[1]، فقد ذمّ الإخوان المسلمين بنفس القدر الذي ذمّ به الشيوعيين. وكذلك أُخذ عليه تعاطفه مع محمود محمد طه صاحب النظريات الباطنية التي زعم فيها أنه رسول، بل قد زعم في آخر أيامه أن الله ﷻ قد تجلى له في مجمع البحرين في المقرن – الخرطوم – وخاطبه وكلمه، ثم نظم عبدالله الطيب قصيدة رثاه بها بعد أن أُعدم حدًّا بتهمة ارتداده عن الدين[2].

آثار عبدالله الطيب العلمية

تنوعت مؤلفات الدكتور عبدالله الطيب، إلا أن أكثرها شهرة على الإطلاق كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"[3]، الذي ألفه في حوالي خمس وثلاثين

---

1 تعتبر تجربة الإخوان المسلمون في السودان تجربة عميقة مقارنة بدول كثيرة نسبة لقرب السودان من مصر حاضنة التجربة الأم. وكانت النشأة في عام 1949م عندما جاء وفد إخواني من مصر للسودان وعقد كثير من الاجتماعات لشرح فكرهم و ايديولوجيتهم بقيادة جمال الدين السنهوري. وفي إبريل 1949م ظهر أول فرع للاخوان في السودان. ومن خلال دراسة الطلاب السودانيين في مصر تعرف الكثير منهم على أيديولوجيا الإخوان و جاؤوا لينشروها في السودان، وفي نهاية الأربعينيات بدأ نشاط مجموعات الإخوان داخل الجامعات السودانية وكان الطلاب الجامعيين هم الدعم الأكبر للحركة. في خطوة لتوحيد المجموعات تحت منظمة واحدة أقيم مؤتمر عام سنة 1954م من مجموعات مختلفة. ترأس المفكر الإسلامي د/ حسن الترابي حركة الاخوان في السودان لفترة من الزمان، وتغير اسم المنظمة في عهده أكثر من مرة بسبب تعرض حركات الاخوان المسلمين حول العالم إلى الهجوم والقمع من الأنظمة. (انظر موقع ويكيبيديا: http://ar.wikipedia.org/wiki، (2009/02/26).

2 إمام، زكريا بشير، **عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر**، ص192.

3 المجذوب، عبدالله الطيب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي وأولاده، د.ط، د.ت). وقد قدم لهذا الكتاب مشيدًا به عميد الأدب العربي الراحل الدكتور طه حسين.

سنة. كان عبدالله الطيب شديد الحب للشعر العربي، وإيقاعه الموسيقي، وإنما ألّف "المرشد" للكشف عن هذا الإيقاع البديع في الشعر العربي. ومن يقرأ "المرشد" يجد صعوبة نسبة لوعورة كلماته وصعوبتها، وصعوبة هذا الكتاب لا تكمن في الحقيقة في كثرة الألفاظ الغريبة، ولكن لأن الاهتمام فيه منصب أساساً على النظم في الشعر، بحوره وقوافيه، ومالم يتوفر للناظر فيه إلمام طيب بأسس النظم في الشعر العربي، وتعلُّم العروض والقوافي، فإنه لا محالة يجد فيه صعوبة كبيرة[1].

ومن مؤلفاته أيضاً من "حقيبة الذكريات" (1989م)، و"القصيدة المادحة" (1964 م)، و"مع أبي الطيب" (1968م)، و"تسع كلمات من فاس" (1986م)، و"شرح بائية علقمة" (1970م)، و"الحماسة الصغرى" (1960م)، و"تاريخ النثر الحديث في السودان" (1959م)، و"الطبيعة عند المتنبي" (1977م)، "وزواج السحر"، و"قيام الساعة"، و"أندروكليس" و"الأسد" (مترجمة 1954م).

ومن دواوينه الشعرية "أصداء النيل"، و"أغاني الأصيل"، و"اللواء الظافر"، و"بانات رامة"، و"سقط الزند"، و"برق المدد بعدد وبلا عدد".

ومؤلفاته في التفسير كتاب "تفسير جزء عمّ"، و"جزء تبارك"، وجزء "قد سمع"، وتفسير القرآن الكريم كاملاً مع تلاوة المقرئ الشيخ صدّيق أحمد حمدون، ثم مع قراءة الشيخ إبراهيم كمال الدين، وقد سُجِّل بالإذاعة السودانية فيما بين سنتَيْ 1958م و 1969م. وقد سجّل في تشاد، ومالى، وفى الإذاعات الصومالية، والموريتانية، ومكتبة الكونغرس الأمريكي.

التعريف بتفسير عبدالله الطيب للقرآن

اشتهر عبدالله الطيب كونه أديباً أكثر منه مفسراً، لكن اهتمامه وعنايته باللغة العربية والشعر لم يقلّل من شأنه في التفسير، بل زاده رفعة ومكانة؛ لأن إتقان اللغة العربية يمنح

---

[1] إمام، **عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر**، ص49.

التفسير قيمة كبيرة، حيث أن تفسير القرآن باللغة، يعتبر من المصادر الأساسية لأحسن طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن والسنة الشريفة وأقوال الصحابة[1].

وقد فسر عبدالله الطيب القرآن الكريم كاملاً في اثني عشر عاماً هجريًّا ما بين مسموع ومطبوع. فقد طُبع تفسير جزء عم طبعتين، الطبعة الأولى سنة 1390هـ، والثانية سنة 1404هـ، كلتاهما بواسطة الدار السودانية للكتب في الخرطوم. وطُبع تفسير وجزء تبارك طبعة واحدة سنة 1410هـ بواسطة دار أشرف للنشر الخرطوم. وقد قام عدد من موظفي الإذاعة السودانية بتحويل جزء كبير من التفسير المسموع وكتابته في موقع الإذاعة السودانية على شبكة الإنترنت[2]. وقد بدأ عبدالله الطيب بتفسير جزء عم كتابةً سنة 1958م، ثم توقّف بعد ذلك عن الكتابة واتّجه إلى تفسير القرآن مسموعاً، وبثه من خلال الإذاعة السودانية، حتى أكمله سنة 1969م، وقد علّق عبدالله الطيب على ذلك في مقدمة جزء عمّ قائلاً: "وقد بدأت هذا العمل منذ اثني عشر عاماً، ثم إنني بعد أن فرغت من جزء عمّ وأعددت مادة جزء تبارك، بدا لي أن أروز[3] ما أتممته عن طريق الإذاعة، وقد أعان الله ﷻ في ذلك فكان هذا مما صح العزم على العودة لما كنت قد أعددت من قبل، ومراجعته مراراً حتى استقام منه هذا الذي أقدمه للقارىء الكريم"[4]. ثم توقف عن الكتابة قرابة الثلاثين عاماً قبل أن يعود بجزء تبارك سنة 1989م، وعلل عبدالله الطيب هذه الوقفة الطويلة، قائلاً: "فقد كنت كتبت تفسير جزء عمّ منذ نحو ثلاثين سنة (1375هـ)، وكانت النية أن أتبع ذلك تفسير بقية الأجزاء. ثم استحسن بعض أهل الفضل أن يذاع التفسير، فسألت الله ﷻ تيسير ذلك

---

[1] صلاح عبدالفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين** (دمشق: دار القلم، ط2، 2006م)، ص67.

[2] http://www.sudanradio.info/arabic/modules/smartsection/category.php?categoryid=9

[3] أَرَزَ يَأْرِزُ أُرُوزاً تَقَبَّضَ وتَجَمَّعَ وثَبَتَ فهو آرِزٌ وأَرُوزٌ. ورجل أَرُوزٌ ثابت مجتمع، وقال الجوهري" أَرَزَ فلان يَأْرِزُ أَرْزاً وأُرُوزاً إِذا تَضامَّ وتَقَبَّضَ من بُخْلٍ فهو أَرُوز. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت)، ج5، ص305.

[4] عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص8.

فيسَّره بعونه وتوفيقه، حتى فرغت من تفسير المصحف كله من [خلال] الإذاعة في اثني عشرة سنة هجرية ثم رغبت في طبع جزء عمَّ الذي كتبته وعدتني عوادٍ من ضروب العمل المدرسي فلم ألحقه بأجزاء أخرى وقلت عسى أن يجزىء ويغني عن ذلك ما تمت إذاعته"[1].

اللهجة العامية (الدارجة) في تفسير عبدالله الطيب

انتهج عبدالله الطيب في تفسيره للقرآن منهجاً مثيراً للجدل، حيث أنه فسر القرآن الكريم كاملاً باللهجة العامية السودانية، بل وكتب هذه اللهجة في كتب مطبوعة. وقد سوّغ عبدالله الطيب هذا المسلك بأنه أراد التيسير على الناس، وأراد أن يرتفع بمستوى العامية حتى تبلغ مستوى الفصيحة. وهذا القول فيه نظر، وهو بالنسبة لي قول مرجوح لأن العامية والقول بها يبعد الناس عن القرآن الكريم. وقد بيّن عبدالله الطيب الطريقة التي رسم بها العامية في تفسيره فقال: "وقد آثرت في رسم الألفاظ الدارجة أن أقرب ذلك بقدر المستطاع إلى ما يشبهه من الألفاظ الفصيحة، فقولنا في العامية عليه وإليه الهاء فيه مضمومة، واللام حركتها مزدوجة بين الفتحة والكسرة، فربما وضعت عليها كسرة وفتحة معاً، وربما عريتها من ذلك أو من الفتحة واكتفيت بالكسرة. وقولنا في العامية إنه ننطقه بهمزة مكسورة ونون مشددة مضمومة "إِنُّ". وقولنا كتابهم لجمع المذكر الغائب ننطقه بباء مضمومة بعدها نون "كتابُن"، وللمؤنث بباء مكسورة بعدها نون "كتابِن"، ولكن رجح عندي أن أراعي الأصل فأثبت الضمير الذي يدل عليه ويكون ذلك بمكان الاصطلاح هكذا: كتابهم. وبعض ذلك مبيّن في الهامش لإعانة القارىء إن شاء الله"[2].

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء تبارك** (الخرطوم: دار أشرف للنشر، ط1، 1410هـ)، ص5.

2 عبدالله الطيب المجذوب، **تفسير جزء عم**، ص7.

الآيات الكونية والعلوم المعاصرة

لايصدق على هذا التفسير ما صدق على غيره من التفاسير الماضية في اعتبارها مرآة عاكسة للتيارات الفكرية التي يعاصرونها، ولا شك في أن مسألة اشتمال الآيات الكونية في القرآن على حقائق العلوم المعاصرة تعتبر من المسائل المهمة في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي. فالقرآن الكريم هو حجة الله على عباده، وهو معجز في فصاحته وبلاغته، وفي أخباره ونبوءاته وتقريراته عن حقائق الكون والنفس، حيث قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53).

وبعض المفسرين طاب لهم أن يتوسعوا في علوم القرآن ومعارفه فأدخلوا فيها ما بدا لهم من علوم الكون، وبعضهم أسرف في ذلك، وإن كانت نيتهم حسنة وشعورهم نبيلاً، ولكن النية والشعور مهما حَسُنا، لا يسوغان أن يحكي الإنسان غير الواقع، ويحمّل كتاب الله على ما ليس من وظيفته، خصوصاً بعد أن أعلن الكتاب عن نفسه بأن وظيفته الأولى هداية الناس، وحددها مرات كثيرة منها قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2)، ومنها قوله ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15–16). قال الشيخ الزرقاني رحمه الله: "ومما يجب التفطن له أن عظمة القرآن لا تتوقف على أن ننتحل له وظيفة جديدة، ولا أن نحمله مهمة ما أنزل الله بها من سلطان، فإن وظيفته في هداية العالم أسمى وظيفة في الوجود، ومهمته في إنقاذ الإنسانية أعلى مهمة في الحياة. وما العلوم الكونية بإزاء الهدايات القرآنية؟، أليس العالم الآن يشقى بهذه العلوم ويحترب وينتحر؟ ثم أليست العلوم الكونية هي التي ترمي الناس في هذه الأيام بالمنايا وتقذفهم بالحمم؟ وتظهر لهم على أشكال مخيفة مزعجة من مدافع رشاشة ودبابات فتاكة، وطائرات أزازة وقنابل

مهلكة وغازات محرقة ومدمرات في البر والبحر وفي الهواء والماء، وما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدى الله ووحي السماء بالأنياب والمخالب للوحوش الضارية والسباع الواغلة في أديم الغبراء".[1]

ولسنا هنا في صدد بحث أو دراسة المؤيدين والمناهضين للتفسير العلمي في القرآن، ففي ذلك موضوعات كثيرة ودراسات متنوعة، وقد كان هذا الموضوع موضع جدال وأخذ ورد بين كثير من علماء المسلمين في القديم والحديث من حيث القبول والرد. ولكن الذي أردت تأكيده وبيانه أن موضوع التفسير العلمي كان مجالاً رحباً لرواد المدارس المعاصرة وخاصة مدرسة التفسير العقلي قديماً وحديثاً. وقد كان الإمام أبو حامد الغزالي أول من دعا إلى التماس موضوع الكونيات، ودراسة إعجاز القرآن العلمي، وتابعه في ذلك الكثيرون كالفخر الرازي، وجلال الدين السيوطي، وفي العصر الحديث الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وطنطاوي جوهري، ومحمد الطاهر ابن عاشور، حيث أشاروا إلى أن تفسير القرآن علمياً بما يثبت إعجازه من هذه الناحية يعد الطريق العصري الأمثل في تبليغ الدعوة الإسلامية اليوم لغير العرب، وهو الوسيلة الكافية لإقناعهم بالقرآن الكريم، ولا سيما أن حديث العلم صار في هذا العصر هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجادل معه أو يشك فيه، لذلك فإن من رأي أصحاب التفسير العلمي أن اليوم الذي ينشر فيه على العالم بلغاته المختلفة ما قد سبق القرآن إلى القول به وأثبته التقدم العلمي في مختلف العلوم لهو اليوم الذي نكون فيه قد أدينا الرسالة وبلغنا الدعوة وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب[2].

---

[1] الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن** (بيروت: دار الكتب العالمية، ط2، 2004م)، ص474.

[2] انظر: العلي، هيا ثامر مفتاح، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في التفسير** (الدوحة: دار الثقافة، 1994م)، ص482.

الآيات الكونية في تفسير عبدالله الطيب

إن المنهج الذي سار عليه الدكتور عبدالله الطيب رحمة الله في عرضه للآيات الكونية، أو ما يسمى بالتفسير العلمي، يتسم عموماً بتجاهل التعليقات العلمية وعدم الإشارة إلى الحقائق والعلوم الطبيعية المختلفة، الفلكية منها والطبية، فهو يفسر الآيات تفسيراً لغوياً، ثم يتبع ذلك بتلخيص للمعنى العام للآيات، وفي الحالات النادرة التي يشير فيها إلى العلوم الطبيعية نجده يذكرها بإيجاز شديد، ويتجنب الإسهاب والإطالة في استحضار تلك العلوم، كما هو منحى الفخر الرازي مثلاً. ومثال ذلك في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (القيامة: 37–39)، يقول عبدالله الطيب – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآيات: "يقول العلماء في علم الأحياء والتناسليات الآن إن نطفة الرجل هي التي يشكل بسببها المولود ذكراً أو أنثى وهذا مما يهدي إليه معنى هذه الآيات. وكلام الله القديم معناه شامل فإن صحّ قول علماء الأحياء فهو داخل في معناه، وإن لم يصح فإن معنى كلام الله فوق كل المعاني قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85)."[1]

فعبدالله الطيب يتفادى الإشارة إلى العلوم الكونية في تفسيره للآيات التي فسرها كثيراً من المفسرين المتأخرين تفسيراً علمياً وربطوها بالعلوم المختلفة، ومن نماذج هذا القبيل ايضاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 22). فهو يقول: المعنى اعبدوا الله خالقكم، ومن الأدلة على وحدانيته وعلى خلقه لكم أنكم عندما تتفكروا في خلق السموات والأرض، تجدوا أن الله مدّ الأرض أمامكم، وبسطها لكي تتصرفوا فيها، فالأرض مفروشة لكي تستطيعوا المشي عليها، وهذه الآية لا يمكن أن يستشهد بها مستشرق على علوم الجغرافيا أوالعلوم العصرية، ولا على علوم أهل

---

[1] عبدالله الطيب، **تفسير جزء تبارك**، ص193.

الفلك القديمة، لأنها تصف بسط الله الأرض من أجل التصرف فيها، ولا يمكن الاستدلال بها على طبيعة الأرض من حيث أنها كروية أو غير كروية. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾(البقرة: 22)، كل ما على عليك وارتفع فهو سمآء، فنحن في حدود علمنا القاصر لا نعرف حد السماء، وإنما المولى عز وجل أفهمنا أن السماء بمنزلة السقف من فوقنا، وبيّن لنا أنه ﷻ جعل فوقنا سبع سماوات طبقة فوق طبقة. فَعِلْم الإنسان قليل مهما اهتم بالعلم والمعرفة، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85)، والعلم الحقيقي هو العلم الذي يتحصل عليه الإنسان بسبب تقوى الله ﷻ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 282). فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ (البقرة: 22)، بمعنى جعل لكم الأرض ممهدة ممدودة من أمامكم والسماء مثل السقف من فوقكم. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة: 22)، فعندما ينـــزل الماء على الأرض يجري أنهارا، فتتشقق الأرض بالنبات الذي هو رزق للناس والأنعام وجميع الأحياء. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 22)، بمعنى وحّدوا الله وأفردوه بالألوهية ولا تشركوا به شيئاً[1].

ومهما يكن من أمر، فإن عبدالله الطيب يرفض الاعتراف بالتفسير العلمي بشكل عام، على عكس ابن عاشور الذي ربط تفسيرها بالعلوم الحديثة، حيث قال ابن عاشور: "ومعنى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ (البقرة: 22) أنها كالفراش في التمكن من الاستقرار والاضطجاع عليها، وهو أخص أحوال الاستقرار. والمعنى أنه جعلها متوسطة بين شدة الصخور بحيث تؤلم جلد الإنسان، وبين رخاوة الحمأة بحيث يتزحزح الكائن فوقها، وتلك منة عظيمة. وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حاجزة بين الكرة الأرضية وبين الكرة الأثيرية، فهي كالبناء فيما يراد له البناء وهو الوقاية من الأضرار النازلة، فإن للكرة الهوائية دفعاً لأضرار أظهرها دفع ضرر طغيان مياه البحار على

---

[1] http://www.sudanradio.info/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid=76.(2009/03/12 ,

الأرض، ودفع أضرار بلوغ أهوية تندفع عن بعض الكواكب إلينا وتلطيفها حتى تختلط بالهواء، أو صد الهواء إياها عنا مع ما في مشابهة منظر الكرة الهوائية لهيئة القبة، والقبة بيت من أدم مقبب وتسمى بناء، والبناء في كلام العرب ما يرفع سمكه على الأرض للوقاية سواء كان من حجر أو من أدم أو من شعر، ومنه قولهم: بنى على امرأته إذا تزوج لأن المتزوج يجعل بيتاً يسكن فيه مع امرأته. وقد اشتهر اطلاق البناء على القبة من أدم، ولذلك سموا الأدم الذي تبنى منه القباب مبناة فتح الميم وكسرها، وهذا كقوله في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾، (الأنبياء: 32)".[1]

فنلاحظ أن ابن عاشور تكلم بشكل مسهب عن منة كون الأرض فراشاً بشكل علمي، وأتبعه بالحديث عن نعمة جعل السماء بناء، متحدثاً عن الكرة الهوائية التي تحجز التأثير السلبي للكرة الأثيرية في الأرض. وزاد في تعليقه، فتكلم عن أثر الحرارة الغريزية والعمل العصبي والدماغي، وأهمية نزول الماء من السماء وأثر ذلك على البرودة. ومن جهة أخرى لم نجد الدكتور عبدالله الطيب يعلق بشيء من كل هذا رغم وضوح الآيات وحديثها عن الكون والجبال والماء والهواء وغير ذلك.

وكذلك نجد عبدالله الطيب يتفادى الخوض في التفسير العلمي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: 2) على الرغم من السنين الطويلة التي عاشها في بلاد الغرب، حيث قال في تفسير هذه الآية: "من علق أي من دم، وهي جمع كلمة عَلَقَة والعلقة هي القطعة من الدم"[2]. فنجده رحمه الله لم يقحم الحقيقة العلمية في تعريف العلقة على مراد القرآن أو مقصوده كما فعل كثيرٌ من المفسرين، حيث نجد ابن عاشور يربط بين العلقة وإعجاز القرآن العلمي فيقول: "من إعجاز القرآن العلمي ذكر العلقة لأن الثابت في العلم الآن أن الإِنسان يتخلق من بويضة دقيقة جداً لا ترى إلا بالمرآة المكبِّرة

---

1 محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير** (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م)، ج1، ص 331.

2 عبدالله الطيب المجذوب، **تفسير جزء عم**، ص359.

أضعافاً، تكون في مبدأ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة، فلا تقبل التخلّق حتى تخالطها نطفة الرجل، فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يَعُقْها عائق كما قال تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (الحج: 5)، فإذا أخذت في التخلّق والنمو، امتد تكورها قليلاً فشابـــهت العلقة التي في الماء مشابَهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه، وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة"[1].

فالدكتور عبدالله الطيب عرَّف العلقة على أنها قطعة من الدم دون تفصيل، بينما الشيخ بن عاشور يرى أن العلقة إنما سميت علقة لشبهها بالعوالق السابحة في الماء، باعتبار أن العلقة في الإنسان تكون سابحة في الدم[2].

وهنالك باحث ثانٍ في مجال الإعجاز العلمي في القرآن يرى غير ذلك، حيث قال: "إن ما توصلت إليه الأبحاث العلمية الحديثة أن بسبب تلقيح البويضة بحيوان منوي واحد، يتكون منها ما يشبه العلقة شكلاً، مع تعلق هذه العلقة في جدار رحم الأم، فتصبح علقة لأنها عالقة بالجدار، فالإنسان إذاً مخلوق من علق أصلاً وشكلاً ومضموناً"[3].

وقال باحث ثالث: "إن العلقة تتجسم بصورة ذلك الدم المتجلط الذي اشتدت حمرته، لكنها لا تكون في هذا الشكل إلا في بداية استعدادها لأن تكون مضغة، ومن هنا يتجلى سبب تسمية القرآن لهذا الطور بالعلقة، وذلك بسبب شدة تعلقها بالرحم بالرغم من صغر حجمها وتناهي وزنها"[4].

وعلى هذا نرى اختلاف الآراء بل الحقائق فيما ذهب إليه التفسير العلمي وبين ما توصلت إليه آخر الأبحاث العلمية في هذا المجال فيما نقله الباحثون، وهذا ما دعا

---

[1] ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج30، ص438.

[2] هيا ثامر مفتاح العلي، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص487.

[3] محمد السيد أرناؤوط، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم** (القاهرة: العربية للطباعة والنشر، 1989م)، ص304.

[4] محمد كامل عبد المقصود، **الإعجاز العلمي في الإسلام** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1410هـ-1990م)، ص184.

عبدالله الطيب ليس فقط للتريث قبل إقحام الحقيقة العلمية على مراد القرآن أو مقصوده، بل رفضه للتفسير العلمي في كثير من الأحيان، وذلك لأن حقائق العلوم غير ثابته وغير نهائية، فنجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (النبأ: 12–13)، يقول: "يزعم بعض الناس أن العلم الحديث ينفي وجود سبع سماوات، وإنما يثبت وجود الكواكب والنجوم ونحوها ليس إلا. وهؤلاء يطعنون في كتاب الله بناءً على هذا الزعم. ولا يخفى أن هذه حجة واهية لسببين:

السبب الأول: هو أن كتاب الله أريد به الموعظة والتذكير والهداية، وليس كتاباً في الطبيعة والكيمياء وعلم النظر والصناعيات، فهذه قد حثنا الله أن نلتمسها من وجوهها – قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ (القصص: 77)، وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 43). وبعض العلماء المعاصرين يحاولون أن يفسروا كلام الله في ضوء المكتشفات الحديثة، وهذا خطأ لأن كلام الله قديمٌ باقٍ، والاختراعات والمكتشفات الحديثة كلها عرضة للتغير. فهل نغير التفسير كلما جد اختراع أو اكتشاف؟ فهذا فيه إفساد للعلم وللدين والعياذ بالله"[1]. وفي هذا معه بعض الحق.

والسبب الثاني: "هو أن الكواكب والنجوم والأضواء السماوية جميعاً، ما كان منها في طور التكوين، وما جاوز طور التكوين، كل ذلك داخل في جملة المصابيح التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك: 5). وعلى هذا نقدر أن نقول إن العلم الحديث لم يصل إلى معرفة شيءٍ عن السماوات السبع وإنما عرف شيئاً عن بعض مظاهر السماء الدنيا من كواكبٍ ونجومٍ وأضواءٍ في طور التكوين"[2].

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص19-20.

2 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص20.

وعبدالله الطيب ليس وحيداً في رفضه للتفسير العلمي، فقد سبقه إلى ذلك الكثير من العلماء، منهم الإمام الشاطبي رحمه الله[1]، وذلك أنا نجده في كتابه "الموافقات"[2] يعقد بحثاً خاصاً لمقاصد الشارع، وينوع هذه المقاصد إلى أنواع تولى شرحها وبيانها، والذي يهمنا هنا هو النوع الثاني منها و"بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للأفهام"، ففي المسألة الثالثة من مسائل هذا النوع نجده يقرر أن "هذه الشريعة المباركة أمية؛ لأن أهلها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح ..."[3]، ثم يدلل على ذلك بأمور ثلاثة لا نطيل بذكرها، ثم ليعقّب بفصل ذكر فيه "أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس، وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن الشيم، فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل، وبينت منافع ما ينفع من ذلك، ومضار ما يضر منه"[4]، ثم ذكر من العلوم الصحيحة التى كان للعرب اعتناء بها علم النجوم وما يختص به من الاهتداء فى البر، والبحر، واختلاف الأزمان باختلاف سيرها، وما يتعلق بهذا المعنى. وذكر علم الأنواء، وأوقات نزول الأمطار، وإنشاء السحاب، وهبوب الرياح المثيرة لها، وعرض لما ورد فى ذلك من القرآن. وذكر علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية. وذكر علم الطب، وبيّن أنه كان فى العرب منه شيء مبني على تجارب الأميين، وقواعد الأ قدمين، قال: "وعلى ذلك المساق جاء فى الشريعة لكن على وجه جامع، شاف، قليل"[5].

ثم بعد هذا البيان الذى أوضح فيه الشاطبي أن الشريعة في تصحيح ما صححت وإبطال ما أبطلت قد عرضت من ذلك إلى ما تعرفه العرب من العلوم، ولم تخرج عما

---

1 انظر: الأطرش، رضوان جمال، **رسالة في الإعجاز القرآني** (كوالا لمبور: مركز البحوث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط1، 2007م)، ص264– 265.

2 الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات في اصول الشريعة**، تحقيق: عبد الله دراز (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

3 المصدر السابق، ج2، ص369.

4 المصدر السابق، ج2، ص371-376.

5 المصدر السابق، ج2، ص379.

ألفوه، وهو يزيد هذا البيان إسهاباً، وإيضاحاً، ويتوجه باللوم إلى من أضافوا للقرآن كل علوم الأولين والآخرين، مفنداً هذا الاتجاه، الذى رأى أن قائليه قد تجاوزوا به الحد في دعواهم على القرآن، فقال: "ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها – وهم العرب – ينبني عليه قواعد: منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبعيات والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات، والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح"[1].

وهذه هي الخلاصة الشاملة لمنهج عبدالله الطيب الرافض للتفسير العلمي في تناوله للآيات الكونية، حيث فسرها تفسيراً لغوياً خالياً من الإشارة للعلوم الكونية الحديثة، والذي سلك فيه مسلك العلماء الرافضين للتفسير العلمي مثل الإمام الشاطبي، كما بينا ذلك من خلال النماذج التي تناولناها من تفسيره للآيات الكونية. والله تعالى أعلم.

آيات الموت والآخرة والغيبيات في تفسير عبدالله الطيب

الناظر في تفسير عبدالله الطيب يجد أنه تناول من خلاله العالم الآخر منذ أن يموت الإنسان وإلى أن يستقر في الجنة أو النار، ومنهجه في ذلك أنه يفسر الغيبيات[2] بالقرآن والسنة واللغة، بعيداً عن الإسرائيليات والخيالات والأوهام، وذلك واضح من خلال رأيه في المواضيع التالية:

---

1 الشاطبي، **الموافقات في اصول الشريعة**، ج2، ص380.

2 قال ابن منظورة: "الغيب كل ما غاب عنك، وهو الإيمان بما غاب عنا مما أخبرنا به النبي ﷺ من أمر البعث والجنة والنار، والغيب أيضا ما غاب عن العيون وإن كان محصلا في القلوب، ويقال سمعت صوتا من وراء الغيب أي من موضع لا أراه. قال الفخر الرازي: والغيب عند جمهور المُفَسّرين هو الّذي يكون غائباً عن الحاسّة، ثم هذا الغيب ينقسم إلى ما هو عليه دليل، وإلى ما ليس عليه دليل. أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره، وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن تقول: نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل". ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص654. وانظر: الفخر الرازي، **تفسير مفاتيح الغيب**، ج2، ص26.

الموت[1] والحياة[2]

قال عبدالله الطيب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: 2): "هو الذي أوجد الموت وأوجد الحياة ليختبركم أيها الناس، وبهذا الاختبار يرى الله أيكم أطوع له وأيكم أتقى وأسرع في عمل الخير ... وقيل فيما روي لنا من التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما إن ربنا خلق الموت على هيئة كبش أملح أي أسود كل من يراه أو يشم رائحته يموت، وابن آدم قبل أن يخلقه ربه قد كان في حكم الأموات، وخلق ربنا الحياة في هيئة فرس بلقاء أي بيضاء، كل من يراها أو شم رائحتها يحيا"[3].

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (آل عمران: 185): "كل إنسان سوف يموت، والأجر بعد الموت على العمل الذي عمله، فالسيئة جزاها مثلها، والحسنة المولى يضاعفها لعشرة أمثالها ويزيد في الأضعاف لمن يشاء من عباده. والحياة الدنيا متاع واغترار بالباطل؛ لأن الإنسان يغتر بها ويظنها دائمة وهي فانية، فهذا غرورها للإنسان، والحياة الدنيا زائلة وفانية، وإنما الشيء الباقي هو أجر المولى ﷻ في الآخرة، والنفوس إذا صفت الاعتقاد واعتقدت أن الأجر الباقي هو الذي عند الله في الآخرة، يهون عليها متاع الدنيا كله لأنه نصيب زائل"[4].

---

1 الموت خلق من خلق الله تعالى، والموتان ضد الحياة، والموات بالضم الموت مات يموت موتا، والأصل فيه موت بالكسر يموت ونظيره دمت تدوم إنما هو دوم، والاسم من كل ذلك الميتة، ورجل ميت وميت وقيل الميت الذي مات والميت والمائت الذي لم يمت. ابن منظور، **لسان العرب**، ج2، ص90.

2 الحَياةُ نقيض الموت كُتِبَتْ في المصحف بالواو ليعلم أَن الواو بعد الياء في حَدِّ الجمع وقيل على تفخيم الأَلف وحَيَّ يَحْيَا ويَحَيُّ فهو حَيٌّ وللجميع حَيُّوا بالتشديد. انظر: بن منظور، **لسان العرب**، ج14، ص211.

3 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص8-9.

4 http://www.sudanradio.info/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid=165. (2009/03/12)

وقال في شرحه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر: 27) أي التي ترضى بما كتبه الله، إن أعطاها النعمة شكرت، وإن قدر عليها رزقها صبرت، ولم تقل بزهو وغرور: أكرمني ربي حين النعمة، ولم تقل بتبرم وسخط حين الضيق أهانني ربي، وإنما تقول إن ربي يبلوني لأشكر ولأصبر فتشكر وتصبر، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: 28) أي عودي إلى الله فهو إليه مرجعك، وإنك ستجدين لديه الرضا والأمن والسعادة، أو ارجعي من أجل البعث والقيامة وأنتِ راضية بالعمل الذي قدمتيه والله راض عنك، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (الفجر: 29– 30) قيل معناه ادخلي في أجسام عبادي ليقوموا أحياءً، وقيل ادخلي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سِلكِهم، وعسى الصواب أن يُجمع بين القولين أي يقال للأرواح ادخلي في الأجساد وللنفس المطمئنة ادخلي في عباد الله الصالحين، وهذا الوجه عند الطبري والبخاري.[1]"

فالدكتور عبدالله الطيب رحمه الله فسر الآيتين بما روي عن ابن عباس، وبما رواه الطبري عن البخاري، بعيداً عن الإسرائيليات التي تسربت إلى كثير من التفاسير فيما يختص بالموت والآخرة، فهو لم يأتي بفكرة جديدة غير أنه يرى أن الموت أوجده الله ﷻ ليُحسِّن من أخلاقيات وأعمال العباد.

أنواع الثواب في الآخرة روحي وحسي

في هذا المقام يورد عبدالله الطيب شبهة ويرد عليها، والشبهة باختصار حول أنواع الثواب في الآخرة: "ينتقد بعض المعاصرين من أهل الطعن في الدين[2] وصف النساء والخمر في القرآن، ويقولون هذا ثوابٌ ماديٌ، وينبغي أن يكون الثواب في الآخرة روحياً، وأي خيرٍ في الجنةِ إذا كان كلُّ ثوابها هو الجِماعُ والسكر؟ هكذا يقولون"[3]. وفي الجواب

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص275-276.

2 ويدخل في هؤلاء جماعة من المبشرين، وأصناف من الكفرة وأهل الإلحاد، ثم بعض من عسى أن يجوز قول هؤلاء عليهم وهم لا يشعرون. انظر عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص41.

3 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص41.

على ذلك، يرى عبدالله الطيب أن هذا الكلام إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على ضيقِ النظر وسوء التفكير مع الجهل بأساليب القرآن، ثم وصف أنواع ثواب الآخرة قائلاً: "وقد دلَّ الحق جلَّ وعلا أن ثواب الآخرة سيكون روحياً حسياً معاً:

أولاً الثواب الروحي: أمَّا كونه روحياً فشاهده قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ (النبأ: 35)، واللغو والكِذَّاب من الضعف البشري الشائع في هذه الدنيا، فإذا نزعه الله عنا في الآخرة فإن في ذلك من الكمال الروحي ما لا يَخفى"[1].

ثانياً الثواب الحسِّي: والثواب الحسِّي الذي ذكره الله تعالى في إتمامٍ وإكمالٍ للثواب الروحي، وإن أســـمى ما يحاوله الإنسان هو أن يوفِّقَ التوفيق الكامل بين متعة جِسمِهِ وغرائزِه ومتعة روحه وفكره. وقد وعدنا الله جلّ وعزَّ أن يتم هذا التوفيق بثواب الآخرة، ولا ريب أن التوفيق بين هذين النوعين من المتعة في دنيانا هذه عسير المنال. وقد خلقنا الله جسماً وروحاً، فلو قد قَصَرَ ثوابه في الآخرة على أرواحنا وحدها، كان هذا عجزاً، وسبحانه تبارك وتعالى عن العجز. وإننا لنُشاهد الزُهَّاد في الدنيا لا يَصِلُون إلى مراتب الزُّهد الحق إلا بِطَرح الشهوات الجسمية، وقد نشاهد أن هذا يَتْرك في نفوسهم شيئاً من الحسرة والانقباض، وفي الآخرة يُنجيهم ربهم من جميع هذا ويجمع لهم بين الصَّفاءين الروحي والجسمي[2].

النساء والخمر في الدنيا والآخرة

بيَّن عبدالله الطيب الفرق بين خمر الدنيا وخمر الآخرة ونساء الدنيا ونساء الآخرة فقال: "ثم إن ذكر الكواعب الأتراب[3] ليس معناه اتِّباع الشهوات من النساء فقط، فعند النساء يكون الحب والتعاطف ولذات قلبية وفكرية وروحية كثيرة، وحسبك بالأمومة

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص41-42.

2 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص42-43.

3 وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ (النبأ: 33).

شاهداً في هذه الحياة الدنيا.[1] وعبدالله الطيب محق في ذلك، لأن متع الحياة لا تكتمل إلا بالنساء، فالله ﷻ عندما أكرم آدم عليه السلام بإدخاله الجنة قال له: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: 35)، فلو تُرك آدم وحده في الجنَّة لما كان لها طعم.

وشرب الخمر بالنسبة لعبدالله الطيب لا يعني السُّكْرَ والتهتُّك، بل إن الحقَّ علا قدره قد نفى السكر والإنزاف[2] كلَّ النفي عن من يفوز بثوابه يوم القيامة، وقد ذمَّ الله خمر الدنيا بأنَّ إثمها أكبر من نفعها[3]، وبأنها رجس من عمل الشيطان[4]، وشاء بعزته أن يُذهب منها الرجس كُله في الآخرة ويجعلها شراباً طهوراً[5] ليس معه إثم وكله نفع، ولا يخفى ما في ذلك من جمعٍ بين اللذتين الروحية والجسمية بقدرته العُليا سبحانه.[6]

هذا عبدالله الطيب الذي عرفناه، يُدافع عن القرآن ويقف في وجه المستشرقين، والمبشِّرين، والمناوئين للقرآن من الكفرة والملحدين، وكل من تأثيرهم فيجادلهم بالقرآن، ويدحض افتراءاتهم بكل ما أُتي من العلوم، وبكل ما جمع من الفنون من لغة، وفصاحة، وبلاغة، ومعرفة بأساليب القرآن، ودراية بالشعر الجاهلي، وبأسلوبٍ علميٍ بعيد عن العواطف الجياشة، والكلمات الفضفاضة، مُبيناً أنواع ثواب الآخرة الروحي والحسي وكيفية الجمع بينهما، وموضحاً الفروقات بين نساء الدنيا ونساء الآخرة، وبين خمر الدنيا وخمر الآخرة، مستشهداً بالقرآن الكريم وبالشعر الجاهلي.

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص42.

2 وذلك في قوله ﷻ: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: 19).

3 وذلك في قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: 219).

4 وذلك في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 90).

5 وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: 21).

6 عبدالله الطيب المجذوب، **تفسير جزء عم**، ص42.

وهذا هو عبدالله الطيب الأستاذ الجامعي العلامة، والشيخ المفسر لكتاب الله الكريم، والأديب، والشاعر، والناقد، الذي قال بشأنه طه حسين في تقديمه لكتاب "المرشد": "أما بعد فإني أهنئ نفسي وأهنئ قرّاء العربية بهذا الكتاب الرائع، وأهنئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذّ، الذي ننتظر منه الكثير"[1]. فها هو عبدالله الطيب يُثبت بالدليل، وينفرد عمن سواه من المفسرين، بأن القرآن الكريم تَعَقَّب الشُعرآء الجاهليين وردَّ على ما في أشعارهم من فخرٍ وأوصافٍ للخمر والنساء، وذلك فيما ذهب إليه من أن خمر الدنيا تختلف عن خمر الآخرة، فقال: "هذا ولا يخفى على من له شيء من نظر في أُسلوب القرآن، وما يعمِد إليه من تعقُّب الشعراء الجاهليين في فخرهم وفي أوصافهم للخمر والنساء، والسخرية بمذاهبهم في التشبيه وإظهار كذبهم في مَعْرِض الموازنة بين اللذات الفانية التي يذكرونها واللذات الباقية الموعودة لمن يفوزون بالرحمة والغفران. مثلاً قال الشاعر الجاهليّ عَلْقَمَةُ يصِف شرابه ويفتخر:

قـــد أشهد الشَّربَ فيهم مِـــزهرٌ رنِمٌ والقوم تصرعهم صهباء خُرْطُومُ
كـــأس عـــزيز من الأعناب عَتَّقـــها لبعض أوقاتـــها حانِـــيَّةٌ حُـــومُ
تشـــفي الصداع ولا يؤذيك صالِبُها ولا يُخالطهـــا في الرأس تدويـــمُ

فزعم أن أصحابه صرعتهم الخمر، افتخاراً بكثرة الشراب وشدته، ثم زعم أن الكأس التي شربوها من عنب عَزيز بَيْضَاءُ لا ضرر معها تَشفي الصُداعَ ولا يُخالطها في الرأس دوارٌ. قال هذا عندما أراد الفخر بِصنف الخمر التي شربها، وهذا كما ترى يُناقض كلامه الأول، إذ كيف صرعت أصحابه ولم تُدِر رءُوسهم بدوارِها؟ وقال تعالى في سورة الصَّافَّات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (الصَّافَّات: 45–47)، وقال تعالى في سورة الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: 17–19). فنفى عنها

---

1 عبدالله الطيب المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ج1، ص5-6.

الغَوْلَ، ونفى عنها الإنزاف، فدلَّ بذلك على طهارتها وفساد قولِ الجاهليين وكذبِ دعواهم، وهذا بابٌ نأمل أن نُفصِّل دَرْسَه في كتابِنا (المرشد إلى فَهْم أشعار العرب وصناعتها) وغيره إن شاء الله، والله تعالى أعلم"[1].

فهذا هو منهجه الذي انتهجه رحمه الله في تفسيره عموماً، وفي آيات الموت والآخرة خصوص، حيث يفسرها تفسيراً لُغوياً، مرجحاً في ذلك ما صحَّ من أقوال السلف، ومستشهداً بالشعر، وخاصة الشعر الجاهلي.

الجن والشياطين

قال عبدالله الطيب في مطلع تفسيره لسورة الجن: "سفيه الجن هو إبليس، والجن من خلق الله قيل هم ولد إبليس، وهم يروننا ولا نراهم، وقيل إن الجن يموتون، وأولاد إبليس هم الشياطين ويعيشون مثل أبيهم إلى قيام الساعة. وقيل إن أقوى قبيلة من الجن هم بنو الشيصبان"[2].

وكذلك يصف الجن في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن: 1)، يقول عبدالله الطيب: "أن نفراً من الجن، قال بعضهم تسعة فيهم من كان اسمه زوبعة، وقال بعض السلف فيما رواه الطبري[3] كانوا من جن أرض

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص43– 44.

2 عبدالله الطيب، **تفسير جزء تبارك**، ص123– 126.

3 نص الحديث عند الطبري قال: "حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (الجن: 1)، لم تُحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد؛ فلما بعث الله محمدًا ﷺ حرست السماء الدنيا، ورُميت الشياطين بالشهب، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، فأمر الجنّ فتفرّقت في الأرض لتأتيه بخبر ما حدث. وكان أوّل من بُعث نفر من أهل نصيبين وهي أرض باليمن، وهم أشراف الجنّ، وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة وما يلي اليمن، فمضى أولئك النفر، فأتوا على الوادي، وادي نخلة، وهو من الوادي مسيرة ليلتين، فوجدوا به نبيّ الله ﷺ يصلي صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن؛ فلما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما قُضِيَ، يعني فُرِغ من الصلاة، وَلَّوْا إلى قومهم منذرين، يعني مؤمنين، لم يعلم بهم نبيّ الله ﷺ، ولم يشعر أنه صُرِف إليه، حتى أنزل الله عليه:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (الجن: 1)". الطبري، **جامع البيان عن تأويل آى القرآن**، ج23، ص648.

باليمن يقال لها نصيبين، وقد كثر رجم الشياطين عند مبعث النبي ﷺ، وكانوا يسترقون السمع ليذهبوا إلى قرنائهم من سحرة بني آدم وكهانهم ويلقوا إليهم ما استرقواه. فلما رأت الجن الرجم قالوا إن هذا أمر له سبب، وأرسلهم إبليس في الآفاق ليعرفوا السبب"[1].

وخلاصة القول في منهج عبدالله الطيب في تناوله لآيات الموت والآخرة والغيبيات عامة أنه يشرح معظم الألفاظ شرحاً لغوياً، ثم يفسر الآيات مستنداً على ما أورده الطبري والقرطبي من روايات عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، ويستشهد أيضاً بالشعر الجاهلي، بعيداً عن الإسرائيليات والخيالات والأوهام.

وعلى الرغم من أن عبدالله الطيب عاش زمنًا طويلاً في الغرب، فإنه كان يؤمن بوجود الجن وجميع الغيبيات، ويذكرها دون أن يؤولها بشكل فلسفي كما فعل الكثير من أبناء جيله من أمثال جمال البنا ومحمد أركون وغيرهم، حيث يقول فهد الرومي في كتابه "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير": "وقد أنكرت طائفة من الناس كالماديين الجن وأحوالهم، وزعموا وبئس ما زعموا أنه لا يصح الإيمان بذلك إلا بواسطة التجربة والمشاهدة، بل يجب أن يقوم الإيمان بذلك على تجارب يمكننا تكرارها في أي وقت"[2].

خاتمة

وهكذا نصل في هذه الخاتمة إلى نهاية المطاف في هذا البحث بعد رحلة مع الدكتور عبدالله الطيب رحمه الله، في رحاب تفسيره للقرآن الكريم، وهي رحلة لم

---

1 عبدالله الطيب، **تفسير جزء تبارك**، ص124.

2 الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1407هـ)، ج2، ص635.

تكن سهلة؛ لأن تفسيره غير موجود في مكان واحد، إلا أنه كان مشوِّقاً، وكانت صحبة عبدالله الطيب من خلاله ممتعة ومفيدة، تناولت من خلالها تفاصيل حياته، ثم طُفت معه في آفاق شاسعة من علوم الإسلام والفكر والثقافة الإسلامية، واللغة والبلاغة والشعر الجاهلي، وحاولت جهدي أن أفيد منه وأتتلمذ على علومه، وأن أتعرَّف على أفكاره واتجاهاته ومنهجه في تفسيره، وأن أُبيِّن ما قد اختلف معه في بعض الأحيان من قضايا وأحكام في غضون هذه الدراسة. وأستطيع أن أقرر في نهاية هذه الدراسة للدكتور عبدالله الطيب وتفسيره النتائج التالية:

1. أن عبدالله الطيب اجتمعت لديه معظم أدوات التفسير بحفظ كتاب الله، وإتقان اللغة العربية بجميع علومها من نحو وصرف ومعاني وبيان وبديع، والعلم بالسيرة وحياة الصحابة، والعلم بالقراءات القرآنية، وقراءة الأصول الأساسية في العلوم المختلفة التي لابد منها للمفسر، والإحاطة الحسنة بآفاق كتاب الله الخالد، بالإضافة إلى صحة العقيدة وسلامة الهدف والقصد والباعث، مما جنَّبه الوقوع في أخطاء المفسرين المعروفة من تحريف لمعاني الآيات وتحميلها ما لا تحتمل.

2. بين هذا البحث أن المنهج العام لتفسير عبدالله الطيب يعتمد في المقام الأول على المأثور من الكتاب والسنة وآراء الصحابة والتابعين، وهو في ذلك لا يسرد كل الروايات، وإنما يسوق منها ما يسند ما رجحه من الأقوال في تفسير الآية، ناقلاً تلك الروايات من تفسير الطبري أو القرطبي.

3. يركز عبدالله الطيب على بيانه للمعنى اللغوي لمعظم للمفردات والجوانب النحوية، فتفسيره معتدل في اللغة والنحو، فهو لا يفصِّل أو يبالغ في تناوله للمسائل النحوية واللغوية بل يتناول تلك الأمور بقدر ما يؤدي الغرض ويبلغ الهدف في بيانه للمعنى وشرحه للآيات، وكذلك لم يتكلم عن وجوه البلاغة في الآيات القرآنية. وبهذا نخلص إلى أن تفسير عبدالله الطيب من التفاسير المأثورة، ويضم إلى جانب ذلك اللغة

والنحو والقراءات وأحكام الفقه والعقيدة.

4. المنهج الذي سار عليه عبدالله الطيب رحمة الله في عرضه للآيات الكونية في القرآن، أو ما يسمى بالتفسير العلمي، يتسم بعدم التعرض إلى العلوم الكونية المختلفة، الفلكية منها والطبيعية، فهو يفسر الآيات تفسير لغوياً منقولاً عن السلف، ثم يتبع ذلك بتلخيص للمعنى العام للآيات، وفي الحالات النادرة التي يشير فيها إلى العلوم الكونية نجده يذكرها بإيجاز شديد ويتجنب الإسهاب والاطالة في استحضار تلك العلوم، فهو في ذلك سلك مسلك العلماء الرافضين للتفسير العلمي.

5. طريقة عبدالله الطيب في تفسيره لآيات الموت والآخرة والغيبيات، تكمن في أنه يشرح معظم الألفاظ شرحاً لغوياً، ثم يفسر الآيات مستنداً إلى ما أورده الطبري والقرطبي من روايات عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، ويستشهد أيضاً بالشعر الجاهلي. وخلاصة منهجه في ذلك أنه يفسر الغيبيات بالقرآن والسنة واللغة، بعيداً عن الإسرائيليات والخيالات والأوهام.

6. انتهج عبدالله الطيب في تفسيره للقرآن منهجاً مثيراً للجدل، حيث أنه فسر القرآن الكريم كاملاً باللهجة العامية السودانية، بل وكتب هذه اللهجة في كتب مطبوعة: كتاب تفسير جزء عمَّ وكتاب تفسير جزء تبارك. وقد سوّغ عبدالله الطيب هذا المسلك بأنه أراد التيسير على الناس، وأراد أن يرتفع بمستوى العامية حتى تبلغ مستوى الفصيحة، وهذا القول فيه نظر، وهو بالنسبة لي قول مرجوح لأن العامية والقول بها يبعد الناس عن القرآن الكريم. وقد نعزره في الجزء المسموع من تفسيره حتى يستفيد منه من لا يعرف القراءة، ولكن كتابة اللهجة العامية في كتب وطبعها شيء خطير وغير مبرر، وهذا هو اجتهاده، ونسأل الله أن يأجره عليه ويغفر لنا وله.

والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

References: المراجع

Al-Arnaʾūṭ, Muhammad al-Sayyid, al-Ijaz al-Ilmi fi al-Quran al-Karim (Cairo: al-ʿArabiyyah li al-Tibāʿat wa al-Nashr, 1989).

Al-Aṭrash, Radwan Jamal, *Risālah fī al-Iʿjāz al-Qurʾānī* (Kuala Lumpur: Research Centre – International Islamic University Malaysia, 1st edition, 2007).

Al-Khālidī, Ṣalāh ʿAbdul Fattāh, *Taʿrīf al-Dārisīn bi Manāhij al-Mufassirīn* (Damascus: Dār al-Qalam, 2nd edition, 2006).

Al-Majdhūb, ʿAbdullah El-Ṭayeb, *al-Murshid Ilā Fahmi Ashʿār al-ʿArab wa Sināʿatihā* (Cairo: Maktabat Muṣṭafā al-Bābī wa Awlāduhū, no date).

Al-Majdhūb, ʿAbdullah El-Tayeb, *Dīwān Aṣdaʾ al-Nīl* (Khartoum: Dār Jāmiʿat al-Khurṭūm li al-Nashr, 5th edition, 1992).

Al-Majdhūb, ʿAbdullah El-Tayeb, *Tafsīr Juzʾ Tabārak* (Khartoum: Dār Ashraf li al-Nashr, 1st edition, 1410).

Al-Majdhūb, ʿAbdullāh El-Tayeb, *Min Ḥaqīqat al-Dhikrayāt* (Khartoum: Dār Jāmiʿat al-Khurṭūm li al-Nashr, 2nd edition, 1994).

Al-Majdhūb, ʿAbdullāh El-Tayeb, *Min Nāfidhati al-Qiṭār* (Khartoum: Wizārat al-Iʿlām wa al-Shuʾūn al-Ijtimāʿiyyah, 2nd edition, 1968).

Al-ʿAlī, Hayyā Thāmir Miftāh, *al-Shaykh Muḥammad al-Ṭāhir bin ʿĀshūr wa Manhajuhū fi al-Tafsīr* (Doha: Dār al-Thaqāfah, 1994).

Al-Rūmī, Fahd ʿAbdul Raḥmān bin Sulaymān, *al-Madrasah al-ʿAqliyyah al-Ḥadīthah fī al-Tafsīr* (Beirut: Muassat al-Risālah, 3rd edition, 1407).

Al-Shāṭibī, Ibrāhīm bin Mūsā, *al-Muwāfaqāt fī Uṣūl al-Sharīʿah*, ed. ʿAbdullah Darrāz (Beirut: Dār al-Maʿrifah, no date).

Al-Turmudhī, Muḥammad bin ʿĪsā, *Sunan al-Turmudhī* (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 2nd edition, 1998).

Al-Zarqānī, Muḥammad ʿAbd al-ʿAẓīm, *Manāhil al-ʿIrfān fi ʿUlūm al-Qurʾān* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2nd edition, 2004).

Ibn Manẓūr, Muḥammad bin Mukarram, *Lisān al-ʿArab* (Beirut: Dār Sādir, 1st edition, no date).

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad El-Tāhir, *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* (Tunis: Dār Saḥnūn li al-Nashr wa al-Tawzīʿ, 1997).

Imām, Zakariyya Bashīr, *ʿAbdullāh al-Ṭayyib Dhālika al-Baḥr al-Zākhir* (Khartoum: Syarikat Maṭābiʿ al-Sūdān li al-ʿUmlah, 3rd edition, 2008)

ʿAbdul Maqṣūd, Muḥammad Kāmil, *al-Iʿjāz al-ʿIlmī fī al-Islām* (Cairo: al-Dār a-Miṣriyyah al-Lubnāniyyah, 1410/1990).

http://www.islamonline.net/arabic/famous/2005/01/article03.shtml, (15/02/2009).

http://www.islamonline.net/arabic/famous/2005/01/article03.shtml, (16/02/2009).

http://ar.wikipedia.org/wiki، (26/02/2009).

http://www.sudanradio.info/arabic/modules/smartsection/category.php?categoryid=9

http://www.sudanradio.info/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid=165. (12/03/2009).